

كيف أنهلك غلاء المعيشة الأسرة السعودية؟

في البلدان التي تمتلك ثروات كبيرة وموارد هائلة، يفترض الناس أن تنعكس هذه الإمكانيات على حياتهم اليومية في صورة استقرار اقتصادي، وفرص عمل عادلة، ومستوى معيشة كريم.

لكن الواقع الذي يعيشه كثير من المواطنين في الجزيرة العربية "السعودية" اليوم يطرح سؤالاً موجهًا لا يمكن تجاهله:

كيف تصبح الاحتياجات الأساسية أكثر صعوبة، بينما تتسع الفجوة بين الدخل وكلفة الحياة؟

لم تعد قضية ارتفاع أسعار المواد الغذائية مجرد مسألة اقتصادية تُناقش في التقارير والبيانات، بل أصبحت همًّا يوميًّا حاصرًا على كل مائدة، وفي كل منزل، وفي كل محاولة من رب الأسرة لضبط مصروف الشهر.

فالمواطن لم يعد يواجه زيادة عابرة في سعر سلعة واحدة أو اثنتين، بل يواجه موجة متواصلة من الغلاء تمسّ الغذاء والرسوم والخدمات والاحتياجات الأساسية، في وقت لا ترتفع فيه المعاشات والأجور بالتوتيرة نفسها، ولا تتحسن القدرة الشرائية بما يكفل حياة مستقرة.

إن أخطر ما في هذا الواقع ليس مجرد ارتفاع الأسعار في حد ذاته، بل شعور المواطن بأن دخله يتآكل بصمت.

الراتب الذي كان يكفي لتأمين أساسيات الحياة أصبح بالكاد يلامسها، والأسرة التي كانت تستطيع أن تعيش بقدر من التوازن أصبحت مضطرة إلى التقليل من احتياجاتها، وتأجيل التزاماتها، وإعادة ترتيب أولوياتها على أساس البقاء لا على أساس العيش الكريم.

وعندما يصل الغذاء نفسه إلى دائرة القلق اليومي، فإن القضية لا تعود تفصيلاً اقتصاديًّا، بل تصبح مسألة كرامة معيشية وعدالة اجتماعية.

لقد أدى هذا الواقع إلى ضغط واضح على الطبقة الوسطى، وهي الطبقة التي كانت تمثل عماد الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

ومع استمرار ارتفاع الأسعار وتزايد الأعباء، تراجعت قدرة هذه الفئة على الحفاظ على نمط حياة متوازن، ووجد كثيرون أنفسهم يقتربون أكثر من الهشاشة الاقتصادية بعد أن كانوا في منطقة أمان نسبي، وهذا التراجع لا ينعكس فقط على مستوى الاستهلاك، بل يمتد إلى شعور عام بعدم الأمان، وإلى خوف متزايد من المستقبل، وإلى إحساس بأن السنوات تمضي بينما تصبح الحياة أكثر صعوبة لا أكثر استقرارًا.

ومن الطبيعي في مثل هذا السياق أن يطرح الناس أسئلة مشروعة وبسيطة في ظاهرها، لكنها عميقة في معناها:

لماذا ترتفع المواد الغذائية والرسوم والضرائب، بينما لا ترتفع الأجور بشكل متناسب؟

ولماذا يتحمل المواطن العبء الأكبر من التحولات الاقتصادية، بينما لا يشعر بنمارها في حياته اليومية؟

فالإصلاح الاقتصادي، أيًّا كان عنوانه، لا يمكن أن يكون مقنعًا إذا كان أثره المباشر هو تحميل الناس مزيدًا من الضغوط دون توفير حماية كافية لدخولهم ومستوى معيشتهم.

كما أن مشكلة الغلاء لا تنفصل عن واقع العمل والدخل، فحين تكون الوظائف الجيدة محدودة، وفرص التقدم المعيشي غير متكافئة، وتبقى شريحة واسعة من الناس محصورة في وظائف منخفضة الدخل أو غير مستقرة، فإن أي ارتفاع جديد في الأسعار يتحول إلى أزمة حقيقية.

المسألة هنا ليست مجرد أرقام في سوق أو تغيرات في أسعار السلع، بل واقع اجتماعي كامل يتشكل تحت ضغط المعيشة:

شاب يؤخر زواجه، وأسرته تختصر احتياجاتها، ورب بيت يحمل همّ الفواتير والطعام والتعليم والعلاج في آن واحد.

ولا تقاس قوة الاقتصاد بما يُعلن عنه فقط، بل بما يشعر به الناس في تفاصيل حياتهم.

فحين يجد المواطن أن الطعام، وهو أبسط حقوقه، يستهلك جزءًا متزايدًا من دخله، فإن ذلك يعني أن هناك خللًا يجب التوقف عنده بجدية، وحين تصبح القدرة على شراء الحاجات الأساسية تحديدًا متكررًا، فلا بد من مراجعة الأولويات والسياسات والأسئلة الكبرى المرتبطة بتوزيع الأعباء والفرص.

إن الحديث عن غلاء المواد الغذائية ليس ترفًا، وليس مبالغة، وليس خطأ بًا عاطفيًا مجردًا، بل هو حديث عن واقع يلامس الكرامة الإنسانية مباشرة، فالغذاء ليس سلعة ثانوية، بل أساس الحياة. وعندما يشعر المواطن بأن هذا الأساس نفسه أصبح مرهقًا، فإن الرسالة التي يجب أن تُسمع بوضوح هي أن التنمية الحقيقية لا تُقاس بضخامة الشعارات، بل بقدرة الإنسان العادي على أن يعيش بأمان، ويطعم أسرته بكرامة، وينظر إلى الغد بشيء من الطمأنينة.

إن المطلوب اليوم ليس إنكار معاناة الناس، ولا التقليل من أثر الغلاء على حياتهم، بل الاعتراف بأن اتساع الفجوة بين الدخل وكلفة المعيشة أصبح قضية ملحة.

المطلوب سياسات تُعيد التوازن بين الأجور والأسعار، وتخفف الأعباء عن الأسر، وتحمي الطبقة الوسطى من المزيد من التآكل، وتربط أي إصلاح اقتصادي بحماية اجتماعية حقيقية يشعر بها المواطن في بيته وسوقه ومأثته.

وفي النهاية، تبقى الحقيقة الأوضح من كل الأرقام:

حين يصبح توفير الغذاء عبئًا متزايدًا على الأسرة، فإن أي حديث عن الازدهار يفقد معناه ما لم ينعكس أولًا على حياة الناس.

المواطن لا يطلب المستحيل، بل يطلب عدالة معيشية، ودخلًا يكفيه، وحياة لا يكون فيها الطعام سببًا إضافيًا للقلق.